مُقَدِّمَة

عندما أتذكر طفولتى فى القرية، أتذكر على الفور ما كنت أسمعه من الأهل عن آل البيت... وما ينبغى أن يكون لهم من إجلال فى نفوس المسلمين.

وعندما كنت أتردد على «الموالد» فى القرية، وما فيها من إبهار لطفل صغير.. بأذكارها والأحاديث فيها عن كرامات آل البيت.. كان خيالى يسرح بعيدًا إلى هذا البيت الطاهر، وسيرة جدهم العظيم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، ودعوته الخالدة... ومعاناته إلى أن حقق النصر، وانتصر دين الله، وانتشر فى كل مكان.

وزاد حبى للرسول وآل البيت.

أحببت الرسول عليه الصلاة والسلام لشخصيته الآسرة، وحبه للعدل والإحسان والرحمة ومناداته بكل الفضائل والقيم النبيلة.

وكلما امتدت بى أيام العمر.. وقرأت وتأملت ودرست وزاد إعجابى بشخصية الرسول الكريم كلما تعمقت فى دراسة شخصيته الآسرة، وما فى الإسلام الذى نزل عليه من قيم وفضائل واعتقاد وتشريع.

والإسلام يحضنا على حب الرسول. . واقرأ قوله تعالى:

﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقوله:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقوله تعالى:

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩].

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده».

وهناك رواية أخرى تضيف:

«حتى أكون أحب إليه من نفسه».

ومن أحب الرسول لابد أن يحب آل بيته الكرام.

ألم يقل الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ومن قراءاتى عن أهل البيت، وجدت نفسى شديد الإعجاب بمواقفهم، وسلوكياتهم، رغم ما نزل بهم من محن، كما شدتنى تلك البلاغة والفصاحة الذين كانوا يتحلون بهما.

وقد أعجبت بسيرة السيدة الجليلة زينب بنت الإمام على وفاطمة، وحفيدة الرسول عليه الصلاة والسلام وأخت الحسن والحسين.

أعجبنى مواقفها أمام الطغاة، يوم تحدت بعد معركة كربلاء صلف يزيد بن معاوية وأعوانه.

تجسدت الجرأة... والشجاعة... والبلاغة... والتجلد والصبر فى أصعب المواقف وأشدها.

وهى فى نفس الوقت العابدة.. الزاهدة.. كثيرة الصوم.. كثيرة الصلاة.. كثيرة القيام بالليل والناس نيام.. ولأنها كانت واسعة الثقافة، فقد كان يستشيرها أخوتها بما فيهم الحسن والحسين، ومن هنا أطلقوا عليها «صاحبة الشورى».

وفى المدينة كان بيتها ملاذًا لكل صاحب حاجة ومن هنا أطلقوا عليها «أم العواجز».

وعندما ختمت حياتها فى مصر، كان والى مصر يعقد مجلس الديوان فى دارها، تلك الدار التى أصبحت مسجدها، ودفنت فيه، وكان كثيرًا ما يستشيرها ومن هنا سميت «رئيسة الديوان».

ولكرمها الشديد وحمايتها لـ «على زين العابدين» ابن أخيها أثناء مرضه فى معركة «كربلاء»، وتعلق نساء آل البيت بها سميت «أم هاشم».

إنها شخصية من أقوى الشخصيات، شخصية بالغة الثراء.. ومواقفها السياسية أثناء وبعد معركة «كربلاء» جعلت الكثيرين من الرواة والمؤرخين يلقبونها «بطلة كربلاء» ومع «بطلة كربلاء» كانت هذه الدراسة التى آمل أن يجد فيها كل محب لآل البيت.. كم كانت عليه عقيلة بنى هاشم من شجاعة وإيمان فى أصعب الظروف.. ويجد فيها الباحث عن الحقيقة كيف استطاع الإسلام أن يكوّن شخصيات بالغة الإبهار من الرجال ومن النساء على حد سواء.

والسيدة زينب بمواقفها وتقواها قدوة... ومثلاً أعلى لكل من يريد أن يعرف كيف تكون المثل العليا، والقدوة الحسنة بصمودها.. وإيمانها.. ورباطة جأشها فى المواقف الصعبة.. إنها حفيدة أعظم رسل الله.. وبنت فاطمة الزهراء، وأخت الحسن والحسين، وبنت الإمام على.. إنها التجسيد الحى للمرأة المؤمنة.

مأمون غريب